

## مُقَدِّمَةٌ

### حَيْثُ الْخَبْرُ وَجْهَةٌ نَظَرُ

١

صدق من قال إن الخبر في لبنان وجهة نظر.

من الغريب أن لبنان لم يشهد حدثاً خطيراً، إلا وكان خبره أقرب إلى وجهات نظر الأطراف المتنازعة منه إلى التعبير عن الواقع أو الحقائق الموضوعية.

هذا الحكم يصح على أكثر الأحداث الكبرى التي وقعت في لبنان منذ كان. ومن يشك في ذلك، فما عليه إلا أن يستعرض الروايات التي صدرت، وبعضها في لبوس التاريخ، عما حصل في عام ١٨٤٠ وعام ١٨٦٠، وما قيل عن التطورات والأحداث التي آلت إلى الاستقلال في عام ١٩٤٣، وكيف صُوِّرت أحداث «ثورة» ١٩٥٨، وكيف قُوِّمَ عهد الرئيس فؤاد شهاب ثم عهد الرئيس شارل حلو، وكيف فُسِّرَت الأحداث التي شهدها عهد الرئيس سليمان فرنجية والتي بلغت ذروتها بانفجار الأزمة الكبرى في عام ١٩٧٥، ثم كيف نُظِرَ إلى شريط الأحداث المأسوية التي سجلتها حقبة الأزمة الوطنية الدامية منذ ذلك الحين.

لعلّ هذا شأن الصراعات الحادة في كل زمان ومكان. فالصراع المسلح لا بد أن يترافق مع صراع سياسي وصراع إعلامي. ومن طبيعة الصراع الإعلامي أن يجعل من الخبر وجهة نظر، إذ يصوِّر الأحداث على

هوى أطراف النزاع، وبما يخدم مصلحة كل منهم. أما كان هذا هو الأمر خلال الحرب العالمية الثانية، مثلاً، وخلال حرب كوريا، وحرب فيتنام، والحروب العربية الإسرائيلية، وجميع النزاعات الأهلية في العالم، من قبرص إلى كشمير إلى سريلانكا إلى الحبشة إلى نيكاراغوا، وحتى جنوبي إفريقيا.

وإذا كان من الطبيعي في ظل النزاعات التي تحدث بين الدول أو بين فئات المجتمع الواحد أن يكون الخبر وجهة نظر، فليس من السائغ أن يكون ذلك سبباً ليكون التاريخ وجهة نظر. فالتاريخ هو للدرس، للمبرة، لتربية الأجيال، لوجه العلم. فلا يجوز أن يكون مرآة لغير الحقيقة الموضوعية المجردة.

ولكن التاريخ كثيراً ما يستقي دقائقه من الخبر المنشور أو المدون. فهو تالياً معرض للتشويه بطغيان وجهات النظر في رواية الخبر. هذا إلا إذا تأمن التوازن في مصادر الخبر. في تلك الحال، يغدو المؤرخ أمام الامتحان. فخبيرته، وموضوعيته، وتجرده، والتزامه العلمي، ونفاذ بصره وعمق بصيرته، كلها تغدو أمام التحدي، على المحك، استخلاصاً للحقيقة.

كُتب الكثير عن الأزمة اللبنانية وتطوراتها من وجهات نظر متعارضة، ولكننا مع ذلك صُدنا بروايات تتكرر عن مفاصل في تطور الأحداث كنا طرفاً فيها، وقد انطلقت بعض تلك الروايات خلال احتدام الأزمة وغلبت عليها في حينه بطبيعة الحال اعتبارات دعائية سافرة، ولكن المؤسف أن بعض تلك الروايات صمد إلى ما بعد انقضاء الحدث ومرحلته، وبعضها أخذ يلبس لبوس التاريخ. كل ذلك لأن أصحاب وجهة النظر الغالبة في الخبر يملكون الوسائل الإعلامية الأكثر فاعلية والإمكانات المادية والبشرية والعلائقية التي تتيح لهم ذلك.

ونحن ضمناً على موقفنا، نأبى أن تشوّه وجهات نظر أطراف النزاع بفعل سطوتهم الإعلامية وحملاتهم الدعائية. لذلك لا بد من وضع النقاط

على بعض حروف حقبة الانقسام في السلطة والتي سجلت ذروة التصعيد والشدة والتزوير في وقائع التاريخ .

إن ما يهمنا إبرازه أكثر من أي شيء آخر هو أننا، خلافاً للانطباع الذي قد يكون غرماً في النزاع السياسي خلال حقبة الانقسام تلك حرصوا على إشاعته في أوساط واسعة من الجمهور الذي دأبوا على مخاطبته، كنا دوماً طلاب سلام في زمن العنف والقتال والحرب .

في هذا الكتاب أتحدث عن تجربتي في الحكم منذ تسلمي مسؤوليات رئاسة مجلس الوزراء لدي استشهد المغفور له الرئيس رشيد كرامي حتى سقوط حالة الانقسام التي كان يتصدرها القائد السابق للجيش في تمرد على الشرعية، ومن ثم تنفيذ مشروع بيروت الكبرى على يد الحكومة الأولى التي تولت رئاستها في عهد الطائف، فكان ذلك خاتمة أعمالها. عسى أن يكون في الكتابة عن هذه التجربة ما يساعد على إلقاء أضواء كاشفة جديدة ومفيدة على حقائق هذه المرحلة الخطيرة، بحيث يتمكن المؤرخ من أن يؤرخ لها بتجرد وموضوعية، بعيداً عن أية وجهة نظر.

محور هذا الكتاب حقبة انقسام الحكم في لبنان، بما فيها مقدماتها وامتدادها، وهي أخطر مرحلة في تاريخ الأزمة اللبنانية وأصعبها، وبالتالي في تاريخ لبنان الحديث .

أما عنوانه، عهد القرار والهوى، فيعبر عن واقع المرحلة في أبرز ما شهدت من أحداث جسام: فكم من تحرك كان مبعثه هوى المتسلطين، وكم من قرار كان هدفه التصدي لهوى المتحكّمين .

هذا الكتاب يجمع في معظمه حلقات نشرتها مجلة «المجلة» في لندن، إلا حيث يشار إلى خلاف ذلك .

سليم الحص